الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد .

فبعد التطواف مع جانب مهم في شعر هاشم الرفاعي _ رحمه الله _ ألا وهو : جانب التصوير البياني الذي له مكانة مهمة في الدراسات البلاغية والنقدية ، حاول الباحث أن يتلمّس طرفاً من مظاهر ذلك الجمال عند شاعر مبدع من شعراء مصر في العصر الحديث ، إنه هاشم الرفاعي _ رحمه الله _ ، وظهرت في صوره البيانية ملامح فنية ، وقيم جمالية ،ومظاهر نقدية جديرة بالبحث والدرس والتحليل .

وبعد أن عشنا مع شعر هاشم الرفاعي _ رحمه الله _ من خلال فصول ومباحث هذه الدراسة أسجِّل الآن هذه النتائج التي توصل إليها البحث وهي:-

١ _ قام التصوير البيانى بدوره في توصيل تجربة الشاعر إلى متلقيه ، فكان وسيلته الأولى في التعبير عن مكنونات قلبه ، وعن رؤيته للدنيا، وعن آرائه وتصوراته في الحياة والأحياء ، حيث اعتمد الشاعر على هذا الفن في كل أغراض شعره ، من شعر إسلامي ووطني ووجداني وغزل ومديح وهجاء .

٢_ تجربة الرفاعي الشعرية صادقة في أغلب شعره ، وهى تبين تفرده بين كثير من شعراء عصره بعاطفة جياشة ، وأن براعته في تصويره كانت تلتقي مع شفافية وجدانه ، فكان دائما يهدف إلى إبراز المعنى والوصول به إلى قلوب متلقيه .

٣_ تنوّعت أدوات التصوير البياني عند الرفاعي ، على تفاوت بينها في الكثرة والقلّة ؛ بحسب حاجة الشاعر ولون تجربته الشعورية ، ومع ذلك التفاوت فقد حقّقتْ أغلب صوره – على اختلاف أنواعها– قدراً كبيراً من الفنيّة التصويرية ؛ بما اشتملت عليه من القوة والجمال والإبداع .

٤_ اتسم التصوير البياني عند الرفاعي بالبساطة والوضوح والبعد عن الإسراف والتعقيد ، ومع ذلك فقد تميزت الصور البيانية عند الرفاعي بالعمق والبعد عن السطحية ، بمعنى أنَّ الصور وإن بدت بسيطةٌ سهلة سلسة إلا أنَّها حملت معان وإيحاءات جمة.

٥_ اتَّسمت بعض الصور البيانية عند الرفاعي بالتفصيل والاستقصاء والحرص على أن تشتمل على أدقِّ الجزئيات في كثير من الأحيان ، كما اتسمت بعض هذه الصور بالتكاثف وتصعيد درجة التصوير من خلال شتى أنواع التصعيد كالترشيح في الاستعارة وتأكيد الصور بغيرها .

٦_ كان التصوير الحسي هو اللون الغالب في التصوير البياني عند الرفاعي ؛ ولعل ذلك راجع إلى سليقة الرفاعي وفطرته التي هدته إلى أن إدراك النفس للمحسوس أقوى من إدراكها للمعقول ؛ لإخراج الأغمض إلى الأوضح والأظهر ، والخفي إلى الجلي ، فقد كان الرفاعي معنيا في تصويره بإخراج المعاني العقلية في صورة حسية ؛ لأن أغراضه اقتضت هذا التشبيه ،فقد كان يصور المعاني المعنوية مثل : الإيمان والكفر ، والنفاق ، والهداية والضلال ، والمجد والرفعة ،والحرية والقهر ،والبطولة والإقدام ، كان يصور هذه الأمور المعنوية بالنور والظلام والأسود والحيات والإشراق والصاب ، والفجر والنباتات ، والبحر والتاج ،والجمر والسجون والأكفان ، والأصوات المتنوعة والمذاقات المختلفة ، وكلها أشياء حسية تدرك بالحواس الخمس .

٧_ اتسم التصوير البياني عند الرفاعي بخيال عميق ، مثَّل عنصرا أساسيا فيه ، وأضفى عليه حسنا وسحرا وإمتاعا .

٨ _جاءت الصور البيانية عنده مناسبة تماما للسياق قبلها وبعدها تؤثِّر فيه ويؤثر فيها ، وهذا دليل على دقة النظم وحسن اختيار عناصره ، الأمر الذي يدل على سلامة الفطرة اللغوية عند الشاعر .

٩ _ امتاز الرفاعي بحسٍّ مرهفٍ ومَلَكَةٍ قويةٍ في اختيار الصورة البيانية الملائمة للمقام والأقدر على بيان المعنى أفضل من غيرها ، فجاءت صورهم مناسبة تماما للمقامات ، فهناك مقامات تتطلب التشبيه ، ومقامات تستدعى الكناية وأخرى تستدعى الاستعارة أو المجاز المرسل ، ومقامات تتطلب الاستعارة المكنية دون التبعية أو العكس .

١٠_ ظهرت عناية الرفاعي بالتشبيه ، وفيه انتحى الشاعر – بشكل عام – منحى الحسّ ، وطرق كثيراً باب التمثيل ، وأظهر ميلاً واضحاً نحو التشبيهات التي تنطوي على قدر كبير من الإيجاز والإيحاء ، نحواً من التشبيه البليغ والتشبيه المضمر ، كما أظهر وعياً ملموساً بالفروق

الدقيقة بين الأدوات المختلفة للتشبيه ؛ بما يدلّ على رهافة حسّه ، وتكامل إحساسه بالموقف الشعري الذي يعيشه ، وقد لاحظت قلة ورود التشبيه المتعدد في شعره ، فقد كان اعتماده الأساسي على التشبيه المفرد والتمثيلي.

١١_ أدى التشبيه دورا رئيسيا في رسم ملامح الصور البيانية الكلية عند الشاعر ، فاستعان به في معظم الأغراض التي تحدث فيها ، لاسيما ما كان منها يتصل بالوصف بجميع أنواعه ، فقد كان التشبيه وسيلة الشاعر لتوضيح معالم الصورة، وتقريبها إلى الأذهان، وإمتاع نفوس السامعين بارتقائها إلى بلاغته ، وقد بلغت التشبيهات الواردة في هذه الدراسة قرابة الخمسين تشبيها ، مما يدل على أهمية هذا الفن عند الشاعر .

١٢_ حظيت الاستعارة بنصيب الأسد في شعر الرفاعي ، حيث كان لها مكان في هذه الدراسة في ما يقارب المائة وخمسين موضعا ، كان أغلبها استعارات تصريحية أصلية واستعارات مكنية ، ولم تأخذ الاستعارات التبعية والتمثيلية قدر الأنواع سالفة الذكر في شعر هاشم الرفاعي .

١٣_ تميزت الاستعارة المكنية بشمولها واتساعها عن التصريحية ، مما يؤكد رغبته في تناسي التشبيه ، وإحلال المشبه في صورة المشبه به ؛ ولعل الرفاعي قد آثر الاعتماد على الاستعارة المكنية هروبا من الواقع المزري الذي تعاني منه الأمة في ضعفها إلى واقع جديد تخيله الشاعر ، وعبر عنه بواسطة هذا اللون من الاستعارة التي سيطرت على التصوير البياني عنده ، وأستطيع أن أقول : إن الاستعارة بالكناية هي اللون البلاغي الأول عند هاشم الرفاعي ، كيف لا ، وقد شكلت قيمة تصويرية كبرى ؛ فمن خلالها استطاع الشاعر أنْ يبعث الخيال في الصورة المجسَّمة ،وأن يبث فيها الحياة أحيانا ، وأن يحولها عن طبائعها وصفاتها أحيانا أخرى ، وأنْ يبتكر العديد من الصور الطريفة المبدعة .

١٤_ حلت الاستعارة التصريحية الأصلية المرتبة الثانية في تصوير الرفاعي من بين أنواع الاستعارة ، حيث إنه لها ما لها من قوة في التصوير واقتدار على الإبداع ، ولها مقاماتها التي تستحسن فيها ، ولا يقوم غيرها مقامها فيها .

١٥_ ورود المجاز المرسل في شعر الرفاعي كان قليلا جدا إذا ما قُورن بالتشبيه أو الاستعارة ، ومع قلَّة استخدامه إلا أنَّ شواهده في شعره تدلُّ على حسن بلاغته في هذا اللون البلاغي .

١٦_ أحسن الرفاعي – بشكل ظاهر – استغلال طاقات الكناية ، التي تنطوي على التعبير الموحي والمهذَّب في آن ؛ وجاءت أكثر كناياته مفعمة بالخيال ، نابضة بألوان التصوير ومشاهد الحركة والتمثيل ، كما لاحظت استخدام الشاعر للرموز والإشارات في المواطن التي تطلبت ذلك.

١٧_ لم تكن صور الرفاعي الكلية مقتصرة على أدوات الصورة البيانية فحسب ، بل أضاف الشاعر إلى هذه الأدوات ما يدعمها ويتعانق معها من جميع فنون وألوان علمي البلاغة المهمين علم المعاني وعلم البديع ، فخرجت هذه الصور الكلية متكاملة ومتناغمة ومنسجمة وأدت مراد الشاعر منها .

١٨_ اتضح من خلال هذه الدراسة انتقاء الرفاعي لألفاظه ، فجاءت ألفاظه مؤتلفة ومتناسقة مع معانيه ، ولا غرو في هذا فقد جاءت ألفاظه رقيقة عذبة لا غموض فيها ولا تعقيد ،وهي في الأعمِّ الأغلب واضحةٌ لا تحتاج إلى المعجم ، واختِيرَت الألفاظ الموحية التي تبرز الصورة تماما ، وتجعلها تنفذ إلى القلوب بمجرد طرقها للأسماع .

١٩ _تأثر التصوير البياني عند الشاعر بالنشأة الأزهرية التي نشأ الشاعر في ظلالها ، فكثر الاقتباس من القرآن الكريم وأسلوبه وبلاغته في التصوير البياني عند الرفاعي ، كما كثر كذلك الاقتباس من السنة النبوية العطرة .

٢٠_ اتسعت عند الرفاعي دائرة المصادر والمنابع التي استقى منها صوره البيانية ، فجاءت مزيجاً من ثقافة الشاعر والطبيعة الخلابة التي رآها ، والبيئة التي نشأ فيها ، وقد أحسن الرفاعي الاستقاء من تلك المصادر المختلفة ؛ فكانت وعاء للعديد من أفكاره ومنبعاً للكثير من تجاربه وخبراته .

٢١_ تأثر الشاعر بمن سبقه من الشعراء الأفذاذ الكبار لاسيما أمير الشعراء أحمد شوقي ، وعلى الرغم من وجود بعض الصور البيانية عند الرفاعي التي سبق إليها من الشعراء السابقين إلا أن الرفاعي أضاف إليها من حسه الخاص وخياله الماتع وتجربته الشعرية الصادقة ، مما أخرج هذه الصور من دائرة التقليد والتكرار .

وختاما ، فالحمد لله أولاً وآخراً ، وأسأل الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، والذي هو محاولةٌ لباحثٍ يضع قدميه على أول طريق البحث الجاد ، وضع في هذه الدراسة ما أعطاه الله _ عز وجل _ من فهمٍ ، وما يسَّره له من علمٍ ، فإن كان قد وُفِّق فبفضله _ سبحانه _ وعونه ، ثمَّ بتوجيهات أستاذيَّ الجليلين : الأستاذ الدكتور / محمد السيد البدوي المرسي – وهبه الله دوام الصحة والعافية ، ونفع الله بعلمه ، وجزاه الله عن العربية وبلاغتها خير الجزاء – ، والأستاذ الدكتور / عبد العزيز عبد الهادي عبد الفتاح _ حفظه الله _ ، جزاهما الله عني خير الجزاء ، وإن كنت قصرت ، فهو خطئي وسهوي وتقصيري ، وحسبي في ذلك أنَّني بشر ، وأنني على طريق العلم لاأزال ناشئا ، والله ولي التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

obeikandl.com